

كلمة البروفسور سليم دكاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف، موجّهة إلى سعادة سفيرة فرنسا آن غريو Anne Grillo، بمناسبة اللقاء الودي الوداعي في حديقة حرم العلوم الطبيّة الداخليّة، يوم الاثنين الواقع فيه 24 تمّوز (يوليو) 2023 في الساعة العاشرة من قبل الظهر.

يُسدنا ويشرفنا حقًا أن نرحب بك، جامعة القديس يوسف في بيروت ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel- Dieu de France، في الجامعة وبشكل أكثر تحديدًا في هذه الحديقة الداخليّة في حرم العلوم الطبيّة القائمة هنا منذ العام 1912 في خدمة الطبّ الفرنكوفوني (الناطق بالفرنسيّة)، الذي دُمّر أكثر من مرّة، وأعيد تأهيله عدّة مرّات لمواصلة مهمّتنا في مجال التدريب الصحيّ. مع إنّ حزننا لرؤيتك تغادرين لا يقلّ أهميّة عن الفرحة بوجودك في لبنان واليوم، بيننا، في هذه اللحظة من لمّ الشمل والوداع، لأنّ المنصب الجديد الذي ستشغله يحافظ، على ما اعتقد، على نظرتك إلى لبنان والشرق الأوسط، وسيكون قريبًا جدًّا ومؤثرًا لصالح فرنسا وعلاقتها الثنائيّة.

سيّدتي العزيزة، خلال هذه السنوات الثلاث في بيروت، يمكننا أن نقول إنّك لم تمرّ مرور الكرام على لبنان واللبنانيين وجامعة القديس يوسف ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France. إذا أصرّينا على عقد هذا الاجتماع غير الرسميّ، فذلك لنعتبر لك في جامعة القديس يوسف وفي مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France عن امتناننا لالتزامك والتزام فرنسا تجاه لبنان ومؤسساتنا التي واجهت وما زالت تواجه أزمات غير مسبوقّة ومعاناة شديدة وصعوبات يوميّة في أداء مهامّها التعليميّة والاستشفائيّة. هذا الامتنان الذي عبّر عنه لشخصك باسم الجميع يتأصلّ في ذاكرتنا التي لا يمكن أن نخوننا. قال الفيلسوف الرواقي العظيم سينيكا Sénèque : "الامتنان هو أجمل زهرة تنبع من الروح". إنّ روحنا متأثرة بالمبادرات المختلفة التي اتّخذتها، بمساعدة فرق السفارة الرائعة التي تأتي للتعبير عن هذا الامتنان. لأنّ دعمك لتطبيع العلاقات بين مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France والسلطات الفرنسيّة، ومشاركتك في عمل مجلس الإدارة، ونصائحك لتحسين إدارة المستشفى، وتوجيه السفارة من خلال المعدّات الكافية لتلبية الاحتياجات عن الوباء وآثاره المدمّرة، ومدخلتك بعد تفجير مرفأ بيروت، ومشاركتك وكلمتك في الاحتفال بالذكرى المئويّة للمستشفى، ودعمك لتجديد عقد الإيجار والعديد من المبادرات الأخرى، كلّ هذه الأمور ذكرتنا أنّ فرنسا ليست بعيدة عنّا وأنّ عملها لصالح لبنان واللبنانيين محفور جيّدًا في ذاكرتنا التي تعبّر اليوم عن شكرها الوديّ والمدعوم لمن بذلت الكثير من وقتها وطاقتها لنا. لا يمكنني إخفاء الاهتمام الخاصّ الذي يوليه الرئيس إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron بقضيتنا، وبالتالي أشكره من صميم القلب.

إذا انتقلنا إلى الجامعة وكتليّاتها وطلّابها، فلا بدّ من القول إنّ اهتمامك بهنّ وبهم كان لافتًا ونال تقديرًا للغاية، وأنّه كان مصاحبًا للإجراءات التي اتّخذتها. وأودّ أن أهنئ نفسي على العلاقات الطبيّة التي أقيمت بين فرقتنا، علاقة نائب رئيس الجامعة للعلاقات الدوليّة وتلك الخاصّة بالسفارة، وخاصّة تلك التي تهتمّ بالتعاون الثقافيّ والعلميّ والجامعيّ. لا يمكنني أن أنسى الدعم

المستمر لتقديم المنح الدراسية للطلاب وطلاب الدكتوراه لمواصلة دراستهم في جامعة القديس يوسف، ومنح التنقل للطلاب والمعلمين، وخاصة الذين يأتون إلى بيروت للتدريس، ولتعزيز برامج الشهادات المشتركة مع الجامعات الفرنسية، والتعاون مع الكوليج دو فرانس Collège de France وللمساعدة المقدمة من فرنسا من أجل تعزيز علاقاتنا مع مناطق فرنسا، والقائمة ليست قصيرة. السيد توتل، رئيس قسم التاريخ والعلاقات الدولية، ضغط عليّ لأشكرك على الدعم الذي قدمته لقسمه، ولأرشيف جامعة القديس يوسف، حيث أنّه القيم على هذا أرشيفها ومنشوراتها التي قدّمت لأهلك خلال زيارتهم لابنتهم في بيروت، ولإنشاء حديقة الفرانكوفونية التي أزهرت اليوم والتي تبدو بشكل جيد للغاية، ولدورك الحاسم في إقامة هذه الحديقة مع سفراء البلدان الناطقة بالفرنسية. ولن أنسى زيارتك للمكتبة الشرقية ودعمك للحفاظ على التراث الذي نحن أوصياء عليه. لا يسعني إلا أن أكرّر شكري على الكلمات التي وجهتها لي أثناء تسليمي لوسام جوقة الشرف.

قال عالم لاهوت ألمانيّ، وهو شهيد النازية، إنّ "الامتحان يحوّل آلام الذاكرة إلى فرحة هادئة". سيّدتى العزيزة، صحيح أنّ آلامنا كانت ولا تزال كبيرة لرؤية بلدنا، وبشكلٍ دقيقٍ الدولة اللبنانية، ينقلب معها مثل قارب بلا بوصلة وبدون قائد، وأنّ الجغرافيا السياسيّة الإقليميّة تغلب على الإرادة الداخليّة للخروج من الأزمة. ولهذا، يبقى دور فرنسا وأصدقاء لبنان أساسياً للمطالبة بالإصلاحات الهيكلية اللازمة لبلدنا أثناء العمل على انتخاب رئيس للجمهوريّة وإقامة حكومة وسياسة حكومية للخلاص. تسعى جامعتنا، كما نرى، وتتميّز، لكي تبقى ركيزة من ركائز النظام التربويّ للتعليم العالي اللبناني القائم على تقليد عريق من التميّز في بناء المهارات والشخصيات المكتسبة بروح المقاومة والمواطنة، والصدق الفكريّ والانفتاح الثقافيّ من أجل تدريب أفضل المواهب من المجتمع المدنيّ في بلدنا، رأسمال لبنان بامتياز. لقد عبّرت عن ذلك خلال مشاركتك في إطلاق تقرير كلية الحقوق والعلوم السياسيّة لفي جامعتنا حول إصلاح الإدارة اللبنانية.

خلال لقاء مع سلطات التعليم العالي الفرنسيّ، إنضمّ صوتنا وصوت مدير التعليم العالي اللبنانيّ وصوتي للقول إنّّه من الضروري مواصلة علاقاتنا المتميّزة في مجال التعليم العالي، ولكن أيضاً لفت الانتباه إلى خطر دعم الجامعات اللبنانية التي هي جامعات بالاسم فقط. تستمرّ الجامعة، من خلال كليّاتها ومؤسساتها الأخرى في كونها مساحة للحوار والتبادل من أجل التفكير بسيناريوهات الإصلاح واقتراحها وبنائها، وسبل الخروج من الأزمة لأنّ رسالتها كانت دائماً صوتاً مناسباً لتعزيز الدولة وهيكلها وإصلاحها.

تعبّر لكم الجامعة والمستشفى، هاتان المؤسستان اللتان تبلمان من العمر الآن قرناً من الزمان وما زالتا ناطقتين بالفرنسيّة، بامتنانهما وسعادتهما لمشاركتهما قلقهما ولحظات سعادتهما من خلال كلمات التشجيع لهما وروح الدعاية القويّة التي تتمنّعين بها. وهما لا تزالان تأملان في رؤيتك مرّة أخرى في بيروت، على سبيل المثال خلال الاحتفال بأحد أحداث ذكرى مرور 150 عاماً على تأسيس جامعة القديس يوسف في بيروت.

أشكرك مرّة أخرى، وأتمنّى لك مساراً جيّداً، ورائعاً ومثمرًا على الدوام !

تحيا فرنسا ويحيا لبنان !